

المفترق المعرفي للجسد السيميائي cognitive intersection of the semiotic body

د. زغودي دليلة*

المركز الجامعي مغنية (الجزائر)

dafiazeghi1982@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/09/01

تاريخ القبول: 2020/07/23

تاريخ الإرسال: 2020/06/07

ملخص: لقد كان ذكُرُ الجسد- إلى نهاية السبعينات من القرن 20م- محظورا في الدراسات السيميائية*؛ بسبب هيمنة التصورات البنوية على هذا الحقل المعني بتقصي مسارات الدلالة، وإقصائها لكل ما يتصل بالجانب الذاتي في الخبرة الإنسانية، وتقليص ميدان الملاءمة في حدود الفعل أو "الوظيفة"، وانغلاقها على منظورات الشكلنة، والصورنة، والتجريد. غير أن عودة الجسد إلى المشهد الثقافي الحديث مع الفلسفة الذاتية والفينومينولوجيا، واجتياح الموجة الجسدية للحقول المعرفية المختلفة على غرار العلوم المعرفية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والتاريخ... إلى جانب صعود حقلي التداولية ولسانيات التلطف في الدراسات اللغوية، جعل السيميائية تراجع منظورها [العقلاني]، وتبني منظورا جسديا ينيط فعل التديل بالوساطة الجسدية بين المعطى الإنساني الداخلي والمعطى الطبيعي الخارجي، ما أدى إلى اقتحام السيميائية لمناطق الهوى والمحسوس، وخوضها لمجال البصمة... سيحاول هذا المقال رصد الحقول المعرفية التي استقت منها السيميائية تصوراتها عن الجسد، واقتضت منها المفاهيم لبناء نظريتها الخاصة حول قيام الدلالة على التجربة الجسدية العملية.

الكلمات المفتاحية: سيميائية الجسد، الحقول المعرفية، المحسوس، البصمة، الهوى.

Abstract: it was forbidden to speak of the body in semiotic studies until the end of the seventies of the twentieth century because of the dominance of structural perspectives in this field which is interested in exploring the paths of meaning these perspectives excluded all which concerned the subjective aspect of human experience the domain of relevance decreases within the limits of the act or function and closes at the perspectives of formalization and abstraction. however, the return of the body to the modern cultural scene with subjective philosophy and phenomenology; the body wave has swept through various cognitive domains, such as cognitive science and psychology, sociology, anthropology and history... and in addition to the emergence of the pragmatic and linguistic domains of enunciation in language studies. All of this makes semiotics retract its rational perspective and adopt a bodily perspective linking the act of being pampered to bodily mediation between the inner human world and the outer natural world. This resulted in semiotics to break into the areas of passion and sensitivity and to enter the domain of the imprint. This article will try to discover the cognitive fields from which semiotics took perspectives from the body and borrowed concepts from them to build its own theory in the meaning of bodily experience.

Key words body semiotics- the cognitive fields -the sensitive -imprint-passion.

1. مقدمة:

تشكل الانعطافة الجسدية حدثاً مفصلياً في مسيرة سيميائية مدرسة باريس، وهي انعطافة استلزمها المباحث الجديدة للنظرية التي راحت تطرق، هذه المرة، ميادين العواطف والانفعالات، وتخوض في حقول المحسوس والمدرّك، وتتقصى آثار هذا الجسد في العالم وتفاعلاته مع الأجساد الأخرى ... بعد أن "انطلق مخيال جديد للجسد في سنوات الستينات. فالإنسان الغربي اكتشف نفسه جسداً، والخبر سرى في طريقه واجتذب خطباً وممارسات اكتست هالة وسائل الإعلام"¹، فلم يكن بدّ لميدان يعني بطرق إنتاج الدلالة وتداولها، من حجم السيميائية، أن يصمّ أذنيه عن ذبذبات هذه الموجة الجديدة التي تضع اليد على أحد المجاهيل الكبرى في تاريخ الفكر الإنساني عموماً، والفكر الغربي بالتحديد.

وقد اقتضى تأسيس سيميائية للجسد، تغرس التجربة الجسدية في قلب عملية التدليل، وتشيد الأكوام الدلالية على خبرة البدن ومكابدته، من مدرسة باريس السيميائية، أن تفتح على الحقول المعرفية والميادين العلمية التي كانت تشهد ثورة جسدية على غرار: التحليل النفسي، و العلوم المعرفية، والعلوم المعرفية العصبية، والفينومينولوجيا...، وكانت هذه الموجة الجسدية من القوة بحيث توزعت على شتى المعارف والعلوم؛ حتى ما اتصل منها باللغة على غرار: لسانيات التلفظ والتداولية؛ هذه الأخيرة التي صارت تستدعي مستعملاً فعلياً للغة، وليس مجرد كائن تركيبى صوري ضمن وضعية إسنادية مشكلنة - كما تتطلب البنيوية-

ورغم تواشج هذه العلوم الكبير في صياغة المفهوم السيميائي للجسد، وتشابكها في بلورة نظرية سيميائية حول الدلالة المتجسدة، وتحاقلها وإفادة بعضها من البعض الآخر في بلورة منظوراته الخاصة للجسد؛ فقد استغلت أنثروبولوجيا الجسد، مثلاً، نتائج التحليل النفسي وما طرحته فينومينولوجيا الجسد. واستثمر التحليل النفسي، بدوره، بحوث العلوم المعرفية العصبية ومقولات الفينومينولوجيا في تطوير منظوره للجسد.. واتكأت العلوم المعرفية المعاصرة على مفهوم الجسد الفينومينولوجي في اتخاذ الحسية- الحركية مصدراً للتخطيطات المعرفية، والتخطيطات الفضائية منها خاصة، في قلب التجربة الحسية²، إلا أن سهمة كل علم فيه ونصيبه من التأثير يمكن أن يؤخذ على حدة، ويشكل بعداً من الأبعاد السيميائية في تقصي جسدية التدليل التي لا تعرف الحدود، دون أن تكتفي هذه السيميائية، مع ذلك، بدور سلبي تعيد فيه تشكيل طروحات هذه الميادين، أو تعمل على إثبات صحتها³.

2. الميادين المستوحاة: وسيقتصر البحث على أبرزها، وأوقعها أثراً في بناء نظرية سيميائية متجسدة، وأكثرها نفاذاً إلى أدواتها الإجرائية وآلتها الاصطلاحية؛

1.2. الفينومينولوجيا :

شكلت الفينومينولوجيا بعضاً من كل أنواع السيميائيات التي عرفها الفكر الإنساني؛ سواء منها السيميائيات الفلسفية، أو نظيرتها السيميولوجية؛ لكونها، جميعاً، تحمل بعداً فينومينولوجياً ضمناً أو صريحاً يتصل بالجزء الذي تمنحه للإدراك والحسّ، ف" موضوع السيميائيات هو موضوع ظاهراتي وواقعي بشكل مفارق في الوقت ذاته"⁴. ولا يسع أحداً نكران آثار ميرلو بونتي على غريماس منذ الكتاب التأسيسي الأول للمدرسة؛ "علم الدلالة البنيوي"⁵ 1966 [الغارق في بنيويته]؛ وهي تلوح فيه عبر الإقرار بدور الاستنباه الأصل

(proprioceptivité) التوسطي⁶ ، وما يستتبعه من إقرار ضمني بأسبعية المحسوس والمدرّك على المعقولة، وهو ما تبدّى في جعل الاختلاف التأسيسي [النواة الدلالية الأولى التي ينفصلها المربع السيميائي] من طبيعة إدراكية من قبيل: "فوق/ تحت" و"كبير/صغير" و"أبيض/أسود"⁷ ، وليس من طبيعة تجريدية "1/0" مثلاً⁸ ، وهذا ما يفسر اشتغال المكون الإدراكي في صميم البنيات الدلالية.⁹

بينما نجد أطياف "فانيروسكوبية" بورس تترأى هنا وهناك، متوزعة على السيميائية العقلانية وسيميائية المحسوس على السواء. أما سيميائية الأهواء فإنها لا تعدو، في نواح كثيرة منها، أن تكون إعادة صياغة لأطروحات فينومينولوجية بعينها¹⁰ ، فهي - أي سيميائية الأهواء "بوصفها مشروعاً يعالج البعد الهوي في الخطاب، تندرج في السياق الإستمولوجي ذاته للفلسفة الظاهراتية الذي يرى أولية العالم المحسوس على البناء العقلي."¹¹

ومن المصادر الفينومينولوجية الكبرى للمقولات الأساسية المعتمدة يمكن ذكر:

1.1.2. موريس ميرلو بونتي: ويظهر أثره بجلاء في النظرية السيميائية المتجسدة من خلال جملة من المقولات أهمها:

أ. الشرطية الجسدية للوجود: يمثل الجسد البنية الثابتة للوجود في فينومينولوجية ميرلو بونتي¹² ، و"الوسيلة العامة لاكتساب عالم"¹³ ؛ فهو معقل الوعي والإدراك ومكمن الحسّ والشعور، وانتصابه أمام الأشياء يمثل شرط إدراكها؛ فلا غنى لهذه المظاهر عن التعلّف بموقف جسدي معين¹⁴ ؛ ذلك أن "وجودي كذاتية يتوحد مع وجودي كجسد ومع وجود العالم، وفي النهاية إن الذات التي أكونها والمتخذة بشكل ملموس لا تنفصل عن هذا الجسد وعن هذا العالم."¹⁵

وقد استدعت التعديلات الجديدة في الحقل السيميائي- وهي تمتد إلى المحسوس وتزحف باتجاه الانفعالي والمكابد- اتخاذ الجسد بؤرة للدلالة ومقراً للتجربة الدلالية في بعدها الحسي؛ فمثل هذا الشرط الجسدي مكمن الاختلاف بين سيميائية الجيل الأول وسيميائية الجيل الثاني، حيث صار من اللازم " أن يكون للعامل جسد، ويجب أن يكون للصور سمك مادي (أي أن تكون هي الأخرى أجساداً)، وسيكون المحكي خاصاً باللقاء بين أجساد متفاعلة فيما بينها، لا مجرد محكي يروي قصة كيانات شكلية ومحرومة من اللحم."¹⁶

إن انسجام البعد السيميائي للوجود، الذي كان يحتكم إلى معاملة الظواهر كأشكال مجردة، في ظل المنظور المنقطع الشكلاني- القائم على التّمفصل (l'articulation) والتصنيف المقولي (la catégorisation) ، والاتكاء على التحوّلات (les transformations) ، وإقصاء مقومات العالم خارج السيميائية- لم يعد ملائماً في ظل المنظور المتصل الذي يصل الذات بعالمها، ويستند على ذات إستمولوجية تعطف التّحسيس الانفعالي على المعرفة العقلانية الخالصة، صارت السيميائية تبني عليه نظريتها في الدلالة.

ولذلك اتخذت وساطة "جسد يحسّ" في إسقاط العالم بوصفه " حالة أشياء" على "حالة الذات" من خلال إعادة إدماجه في "الفضاء الداخلي المنسجم للذات" لتحقيق الانسجام بين الخارج والداخل¹⁷ . واعتمدت وساطة "الجسد الخاص (corps propre) " ، في مجانسة بعدي الوجود السيميائي، والربط بين مستويي اللغة اللذين ضاقا بالرباط الاعتباطي، والافتراض المتبادل¹⁸ .

اعتمدت حالة الاستنباه الأصل- وهي وساطة بدنية وحساسة- لتحقيق الانسجام بين الاستنباهين؛ الداخلي والخارجي بغرض خلق معادلة شكلية بين " حالات الأشياء " و "حالات النفس" ¹⁹ في علاقة شبيهة بما تنص عليه الفينومينولوجيا؛ من أن الشيء يتكوّن "في سيطرة جسدي عليه وهو ليس أولاً دلالة بالنسبة للعقل وإنما بنية خاضعة لتمحيص الجسد. ²⁰

ب. اتصالية المنظور السيميائي : (continuité) تبنت سيميائية الأهواء المنظور المتصل للكون؛ الذي يلحم الذات بعالمها في مقارنة ظواهر الدلالة، بعد سيادة المنظور المنقطع (discontinuu) الذي أرسته البنيوية وهيمن على الدراسات السيميائية، في طورها البنيوي، طيلة عقود من الزمن؛ عازلاً الذات عن العالم وفاضلاً بين الطبيعي والإنساني، وهي زحزحة تدين بها السيميائية بالدرجة الأولى للفينومينولوجيا؛ التي تجاوزت النظرة الديكارتية "التصورية" (intellectualiste) "المقصية للتجربة؛ من منطلق التعالي العقلاني على الأشياء، والاكتفاء بالمعرفة الموضوعية عنه- وأقرت التجربة شرطاً للوعي، نظراً لأن "معنى الشيء يسكن هذا الشيء" ²¹ ولا يقف منه على مسافة، و استناداً إلى أن "كل إدراك اتصال أو اتحاد...وكأنه تزواج جسدياً مع الأشياء. ²² .." فإذا أخذنا الرؤية، مثلاً، نجد أنها بالضرورة رؤية شيء ما ²³. ناهيك عن أن الذاتية تشتت الانخراط في العالم فلا تتبين حدود الذات خارج العلاقة مع الأشياء ²⁴، و يصير تبعاً لذلك، التعرف على الوجود الخاص وتحديد مرهوناً بالتماس المباشر مع الوجود ²⁵، وليس وجوداً قائماً بذاته في استقلالية عن أشياء العالم.

ج. الجسد- العامل: شكلت فينومينولوجيا ميرلو بونتي مرجعية السيميائية في صياغة مفهوم الجسد – العامل؛ فلا يأخذ مفهومه ويتعرف بكيانه ذلك إلا عندما يتخذ وضعا حركياً، أما "الجسد بذاته؛ الجسد بحالة الراحة ليس إلا كتلة غامضة، إننا ندركه ككائن محدد قابل للتعين عندما يتحرك نحو شيء معين" ²⁶. ومن الأثر الفينومينولوجي لفاعلية الجسد في العالم تولدت صورتاً للجسد العامل؛ الذي يتركز في نشوئه على ازدواج كيانه بين بنية مادية من جهة، و طاقة حركية من جهة أخرى، انبثقت عنهما صورتان سيميائيتان، وفق إجراءات التركيب التصويري، وبالنظر إلى وضعية الجسد – العامل كمادة تارة وكطاقة حركية تارة أخرى .
-أما الصورة الأولى فهي "الحركة أو البدن الحركي (la chair mouvante) ؛ وتدل على الطاقة الجسدية المنبعثة من الجانب الحسي الحركي للبدن، المؤثرة في الأشياء الخارجية - بما فيها الجسد المتحرك ذاته في تنقله وتزحزحه - مانحة لمواد العالم أشكالاً وهيئات .

-وأما الصورة الثانية فهي صورة "الغلاف الجسدي (l'enveloppe corporelle) ؛ الناجمة عن طاقة العالم أو طاقة الجسد البدن ذاته المؤثرة في المادة الجسدية، وتعد شكلاً تفاعلياً ومقاوماً ²⁷.

وقد فرضت الإجراءات الجديدة للتركيب التصويري الموظفة في السيميائية الجديدة، جسدياً العامل انطلاقاً من تعالق مادة بطاقة حركية ²⁸ كحد أدنى، كما صار التفاعل بين الأجساد، أحد شروط حدوث الصلة حيث تعامل الأشياء كأجساد، ويقوم الجسد في حركته صوب الجسد الآخر بإسقاط هيئته العاملة عليه؛ لأن سبيله الوحيد -لمعرفة الأشياء وإزاحة غموضها، والوصول إلى استيعابها في الأخير- هو ابتكار تعادلات وموازيات لصورته. ²⁹ .

تعود مرجعية هذا الإسقاط إلى الطروحات الفينومينولوجية التي يتشكل العالم، في منظورها، وفق التجربة الجسدية؛ ف" تجربتي تصب في الأشياء وتتعالى فيها لأنها تجري دائما في إطار تركيب معين تجاه العالم الذي هو التعريف لجسدي، إن الأحجام والأشكال لا تقوم إلا بتنوع هذا التأثير الشامل على العالم فالشيء كبير إذا لم يستطع نظري أن يغلفه، وهو صغير بالعكس إذا غلفه كليا"³⁰، وفيما ترى الفينومينولوجيا إلى هذه العلاقة على أنها "بين-ذاتية"³¹ نجد السيميائية تعتدها علاقة "بين عاملية"؛ نظرا لتركيزها على الجانب العملي في الأشياء د. التعددية الحواسية وتراسل الحواس: لا يمكن للتجربة الحسية، أثناء الاتصال الحسي بالعالم، أن تتحدد بحدود حاسة واحدة، لأنها ما تلبث أن تتجاوزها إلى باقي الحواس³² منفلة من الأحادية الحواسية، بسبب اشتباك الحواس فيما بينها وتبادلها مواقعها التواصلية أثناء انفتاحها على الأشياء³³. ومنه صاغت السيميائية مفهومها حول "التعددية الحواسية"³⁴ (polysensorialité)؛ الذي لا يعترف بانفصال الحواس بعضها عن بعض؛ المعروف تقليديا، وإنما يؤلف فيما بينها ضمن بعد توفيق متعدد.

و كشف، أيضا، عن قيام الحواس بعضها مقام بعض في إطار ما يدعى بتراسل الحواس أو تداعيمها (synesthésie)؛ مما يتيح مثلا سماع الألوان؛ من قبيل "ضجيج الألوان" و"صخب المناظر"؛ كما يبدو مثلا فيما أورده ريجيس دوبري من أن الإمبراطور كان يشتكي قلة النوم بسبب ما يسمعه من هدير الشلال في اللوحة المعلقة على جدار القصر³⁵، ويمكن بالمقابل رؤية الأصوات؛ حين يعزف الناي مثلا ألونا زرقاء مخضرة³⁶. وبالإمكان كذلك رؤية المشموم حين تكون "الرائحة قاتمة" و"العطر ضبابيا".. وهو ما يعزى إلى إبعاد صورة عمل الجسد كمجموعة من الأعضاء المتجاورة والمكدسة، واعتباره نظاما متأزرا تترابط وظائفه، وتستحضر جميعا خلال حركة الكائن في العالم³⁷ مؤكدة أننا "لا نلتقط وحدة جسدا إلا في وحدة الشيء وانطلاقا من الأشياء تبدو لنا أيدينا وأعيننا وجميع أعضاء حواسنا على أنها أدوات قابلة لأن تستبدل"³⁸.

هـ. الحقل الحواسي: (champ sensoriel) وهو النسخة الحسية لمفهوم "الحقل السيميائي (champ sémiotique) الذي ظهر للمرة الأولى على يد جاك فونطاني في كتابه "سيميائية الخطاب" سنة 1998، باعتباره حقا موضوعيا وحقلا للحضور معا، وهو يدل، سيميائيا، على المجال الزمني والفضائي لمقام التلطف³⁹ أثناء اتخاذ وضعية بقصد التلطف. وقد كان إنشاء تركيب حواسي ينهض على مبادئ تنظيمية مشتركة، تدعمها تعددية الحواس وتداخلها واشتغالها كحزمة⁴⁰ في عملية الإدراك، هو الذي دفع إلى تأسيس بعد "الحقل الحواسي" المنبثق من أرضية الشراكة الحواسية.

يتزود كل حضور، ضمن هذا الحقل، بوضعية تتخذ وضعية التلطف المرجعية (الأنا) مقياسا، ما يتفتق عن أدوار عاملية ثابتة* ذات طبيعة موضعية وهي:

- عامل - مصدر: ويمثل الوضعية الأصلية لكل توجه
- عامل- هدف: ويمثل الوضعية المستقصدة من كل توجه
- عامل مراقب: يبوء بتنظيم التفاعل بين المصدر والهدف⁴¹

نجد لهذا الحقل السيميائي، وسليله الحواسي أصولا في فينومينولوجية ميرلو بونتي ضمن ما دعاه بالحقل الإدراكي⁴² أثناء دراسته للحقول الحواسية؛ حيث يقول "إنني أدرك شيئا لأن لي حقلا من الوجود، وكل ظاهرة تظهر تمحور نحوها كل جسدي كمنظومة من القوى الإدراكية"⁴³

2.1.2. موقع الحسّ من فانيروسكوبية بورس: وتتبدى بصمة بورس في الأهواء السيميائية خاصة من خلال المقولة الفينومينولوجية الأولى أو ما يعرف بالأولانية (priméité)؛ التي تعدّ كيفية حسية خالصة دالة على الإمكانية الأولى الخام؛ الحاملة في طياتها للتوفيقية الحواسية المتخذة في السيميائية شرطا أولا لضمان استقلالية البعد التصوري، الذي تبني عليه سيميائية الجسد تصوراتها حول التوتر والمحسوس والبصمة... كما يجد الحسّ، ومعه الانفعالات والأهواء، له موقعا شبيها بموقع الإمكان الأولاني في الفينومينولوجيا البورسية؛ وهو موقع يمثل نوعية قارة ثابتة تتسم بوجود خالص في ذاته مستعص على القبض حيث "الكل متصل غير دال"⁴⁴، ولا يفى بغرض "تأسيس العلامة في بنيتها العلائقية. ولا وجود لمعرفة عند بيرس إلا عندما تغادر الرؤية البسيطة وضعها هذا لكي تصبح علامة"⁴⁵. وكذلك كان الأمر مع السيميائية حيث "أن وضع الهوى فيما هو أبعد من انبثاق الدلالة، وبشكل سابق على كل تمفصل سيميائي، في صورة "إحساس" خالص، شبيه بمحاولة الإمساك بالدرجة الصفر للحيوي، أي "الظاهر الأدنى للكينونة"⁴⁶ إنه الوضع الهبولي السابق عن كل شكل.

3.1.2. قصدية هوسيرل وبزوغ الدلالة: تغلغت فينومينولوجيا هوسيرل في مفاصل سيميائية باريس على العموم، وفي نظريتها حول الأهواء والانفعالات بوجه خاص، وتناثرت مصطلحاتها على رقعتها اللغوية محتفظة بمفاهيمها الأولى في معجم النظرية بشكل واسع؛ على غرار: النويم (noèmes) فيما تخلّت مصطلحات أخرى عن دلالاتها الهوسيرلية الأصلية، وخضعت لإعادة المفهمة كي تبعث في نظرية الأهواء بروح دلالية جديدة، وعلى رأسها:

-القصدية: (intentionnalité) ويعرفها هوسرل بقوله: "لا يعني لفظ القصدية شيئا آخر غير ما يختص به الوعي بصورة جوهرية وعامة من كونه وعيا بشيء ما، ومن كونه يحمل بوصفه تفكيرا موضوع تفكيره في ذاته"⁴⁷، تظهر تأثيرات هذا المفهوم على سيرورة انبثاق الأهواء في مقولة "التوتير (protensivité) المستحدثة بغرض وصف مسار الهوى في المرحلة السابقة عن الدلالة، ويفيد التوتير ما يصيب الكتلة الاستهوائية المتلاحمة من دافع نحو الانشطار والتجزؤ في "حقل من التوترات"⁴⁸: تمثل البدايات التركيبية لنشوء الأهواء المنشقة عن الاستهواء، إنه توجه تسلكه الانفعالات صوب ولادة الجهات التي تصبغ علاقة الذات بالعالم الخارجي⁴⁹.

وتظهر القصدية، في هيئتها الدنيا، بوصفها نقصا، أو خلا في الكينونة، يدفع الذات إلى السعي لإكماله وتلافيه؛ ومن هذا العيب الأول بزغت السيميائية الجديدة مشهرة "النقص" منطلقا وعنوانا لما سيدعى في مسيرة غريماس بـ "المنعطف الجمالي" الذي كان كتاب "في النقص (de l'imperfection)" حامل نذره؛ بما أسفر عنه من نزوع نحو الانصهار في الواحد وحنين للعودة "إلى الكون اللا مميز المطروح كشرط قبلي لكل دلالة"⁵⁰ وسابق عن التصنيف المقولي المسؤول عن الدلالة المشروطة بالانفصال والانشطار. تحت مسمى "الإثيسيا (esthésie)"

4.1.2. سؤال الوجود في أفق هايدغر: أفاد السيميائيون من مفهوم الأفق الكينوني (horizon ontique) عند هايدغر، وكان الأخير قد ميز بين نوعين من الوجود؛ أحدهما: (dasein être- là) وهو الوجود الإنساني المفكر فيه كحضور في العالم من خلال المعرفة.

والآخر: étant: أي الوجود الملموس في الواقع وهو الوجود الكينوني أو الراهن (ontique)*

أفادت السيميائية من هذا المفهوم في بلورة خطاب سيميائي حول " أفق الوجود الراهن" تطلبها أخذ الشروط السابقة على التصنيف المقولي للمعنى في الحسبان، بالإضافة إلى الشروط التراتبية المعهودة التي تمثل أنماط الوجود السيميائي؛ وهي "المضمّر" و"المحيّن" و"المحقق"، وتم إعداد حيز خاص بحركة الفعل السيميائي روعي، فيه، انسجام أنماط الوجود السيميائي " ولكنه مستقل في الوقت ذاته عن نقطتي حدوده اللتين هما نقطة البداية ونقطة النهاية اللتان ينساب فيما وراءهما أفق الوجود الراهن"⁵¹؛ حيث يقبع في نقطة البدء ما يتفلسف من الضبط، أما نقطة النهاية فتستجيب الأشكال فيها للمحايشة التي تسمح لها بالتجلي.

وقد صار مسار السيميائية، في تقصيصها للمعنى، ينطلق من الغموض الأصلي " الكامن"، ويعبر الإضممار والتحيين ليبلغ مرحلة "التحقق": منتقلا من الشروط الإيستمولوجية السابقة عن الدلالة إلى التجليات الخطابية⁵². أسعف هذا المفهوم السيميائية على تأسيس صورة الكينونة دون الوقوع في شرك المقاربة الأنطولوجية⁵³.

2.2. التحليل النفسي:

1.2.2. سيغموند فرويد: يتغلغل أثر التحليل النفسي في النظرية السيميائية للجسد- بما انجرت عنه من دراسة للأهواء والمحسوس - إلى المرحلة الفرويدية، ويستمر مع النظريات النفسية التي تلتهما وانبثقت عنها. فهي تدين له بتجاوز النظرة التقليدية للجسد التي تقلصه في مجرد أداة تواصل تصاحب النشاط اللغوي وترفده- في ظل منظور بنيوي يجعل اللغة هدفا لعنايته وتركيزه- واتخاذ مصدر لتشكل العامل وبناء قصديته؛ أين ينقلب من جسد تواصل إلى جسد دال، ومن وضعية المساعد إلى وضعية العامل⁵⁴، بل ومصدر لبزوغ الدلالة.

وكان فرويد قد منح للجسد هذا الوضع الأصلي حين بوأه مكانة الخلفية في كل نشاط نفسي⁵⁵، وأكد على الأحاسيس الجسدية مصدرا لانبثاق "الأنا" الذي اعتبره "أنا جسديا" قبل كل شيء، وقسم على أساسه المراحل النفسية المتدرجة للطفل؛ الفموية- الشرجية - القضيبية⁵⁶، إنه يمثل، وفق المنظور السيميائي؛ المادة السيميائية أو الخامة التي يصوغ منها العامل السيميائي شكلا⁵⁷.

- سجل الرغبة والعوائق: كما اعتمد مبدأ فرويد العام؛ حول التنازع بين الرغبات والطاقات النفسية، وبين العوائق والحوازج (الطاقة النفسية ≠ المقاومة والكبت)⁵⁸ المتمسحة على صعيد الجسد في صياغة المبدأ العام للتركيب التصويري (syntaxe figurative) المعتمد في السيميائية الجديدة؛ المتكئة على التجربة الجسدية في دراسة عملية التدليل. حيث يبني هذا التركيب المستحدث على التفاعلات بين النظم المادية والطاقات، سواء اتصل الأمر بالأشكال الخارجية الظاهرة، أم تعلق بالأشكال الداخلية الباطنة.

2.2.2. ديدي أنزيو: ساهم تطور المفهوم الأولي للجسد في التحليل النفسي مع نظرية ديدي أنزيو حول "الأنا الجلدي" في توسيع حقول سيميائية الجسد ومدّها بدينامية اشتغال أكبر، وكان أنزيو قد تخطى بالجسد النفسي حدود اعتباره حقلًا لجدل العوائق والقوى (فرويد)، وفتحته على "تصنيف تصويري حقيقي للجسد"⁵⁹؛ بعد تركيبه بين الخصائص الشمولية والكلية للجسد الفينومينولوجي، والطوبولوجيا الطاقوية التي يقدمها التحليل النفسي وهو يعنى بالتجربة الخصوصية للجسد الخاص بوصفه غلافا نفسيا وحواسيا⁶⁰. فالجسد السيميائي يستمد صورته: "البدن المتحرك" و"الغلاف الجسدي"، من صورتها الطاقوية الشهوية والأغلفة النفسانية؛ أين يقع الجسد موضوعا لتمثيلين مختلفين ومتكررين أحدهما حسب الحركة، والآخر حسب الغلاف (بمراعاة القوى والشكل معا).

أ.الأنا الجلدي : بنى أنزيو نظريته النفسانية على مفهوم الأنا الجلدي الذي ظهر في اصطلاحيته للمرة الأولى سنة 1974، ليدل به على "بنية مضمرة منذ الولادة تتحقق من خلال العلاقة بين الرضيع والمحيط الأولي"⁶¹، ويكون منطلقها من سطح الجسد، و يبني الطفل، وفقها، تصوره لنفسه كأنا انطلاقا من تجاربه الجسدية؛ فهو غلاف نرجسي يكفل للأنا وحدتها وتماسكها⁶²، ويؤكد تفردا وثباتها، ويصون وحدتها من التبدد⁶³، إنه من يحتوي أعضاء الجسد، ويغلفه ويصونه من التأثيرات الخارجية غير المرغوبة، كما لا يمكن عده عضوا واحدا بل هو تركيبة عضوية متنوعة تتقاطع فيها المعطيات التشريحية والفيسيولوجية والثقافية⁶⁴ ويزود الفرد بالكلية النفسية- الجسدية.

تتطور الوظيفة النفسية للجلد عن طريق استبطان (استدخال) ملامسات الأم لجلد الطفل (الملامسة الفموية أولا بوساطة الثدي، إلى جوار ملامسة سطح الجلد عن طريق المداعبات، والتنظيف والترطيب.. وغيرها من ضروب الاحتكاك للمس)

ب.الغلاف الجسدي: إن مفهوم "الغلاف" وإن كان يؤوب إلى الميراث الفرويدي في كتابه "ما وراء مبدأ اللذة" 1920؛ ضمن إشارة فرويد إلى وجود ما يشبه اللدّع الواقي الخارجي الذي يحمي الجهاز النفسي من الإثارات الخارجية وينظم ما يمرّ منها بالقدر المطلوب فقط⁶⁵. إلا أن تبلوره كمصطلح نفسي يعود الفضل فيه لديدي أنزيو، وهو يمثل عنده غلafa حواسيا ونفسانيا يقع موقع حد أو غشاء " يضمن هوية الفرد ويسمح بالتبادلات مع المواضيع"، ويتيح له بناء صورة عن ذاته من خلال الآخر⁶⁶، والتواصل معه؛ إنه سطح مفارق يفصل ويصل في الآن ذاته⁶⁷. وقد أناط أنزيو بهذا الغلاف أداء تسع وظائف نفسية استوحى أغلبها من فرويد أيضا تتمثل في: - الصيانة - الاحتواء - التفريد- الربط بين الحواس، - دعم واحتواء الإثارات الجنسية والشحنات الليبيدية - التمييز بين الخاص وغير الخاص - وتسجيل الآثار - التهديم الذاتي، - والارتشاح⁶⁸.

اتكأت السيميائية على هذه النتائج في استخلاص صورتين سيميائيتين للجسد -باخضاعهما لإجراء التركيب التصويري طبعاً- اتخذتا أساسا في مقارنة تفاعلاته بحسب وضعيته المتراوحة بين "الحركة (mouvement) تارة" و"الغلاف الجسدي (enveloppe corporelle) تارة أخرى، وبمراعاة الدور المنوط به؛ الذي يجعل منه "مصدرا" حركيا للقوة، أو "هدفا" لها؛ أي غلafa يتلقى تأثيرات القوى، وفق نقطة التركيز التي تنوس بين "طاقة" و"مادة". أعادت السيميائية تصنيف وظائف الغلاف بإخضاعها للإجراءات التصويرية بغرض استغلالها في تحديد خصائص الجسد السيميائي، ما أسفر عن تأطيرها ضمن أربعة مسارات تصويرية هي:

1. مسار الحاوي: ويشمل وظيفة الصيانة ووظيفة الاحتواء
2. مسار القدرة التمييزية والتبادل وغربله الشدة: ويضم وظيفة دعم واحتواء الإثارات الجنسية والشحنات الليبيدية -وظيفة التفرد
3. مسار الفرز الخلاقي: وعماده وظيفتان؛ الارتشاح - ووظيفة التهديم الذاتي
4. مسار الترابط والتسجيل: وتبنيه وظيفتان هما- الوظيفة بين- الحواسية التي تقوم على مبدأ "الحس بالوجود (cœnesthésie)" ووظيفة تسجيل الآثار، وهذه الخاصية المميزة للغلاف الحاوي تمنحه القدرة على حفظ آثار الحوادث الداخلية والخارجية التي يتعرض لها. وهو مبدأ اشتغال ما يدعى بسيميائية البصمة.⁶⁹

5. يتقاطع المسار الأخير مع الوظيفة السيميائية (la fonction sémiotique) ؛ إذ تطابق كل وظيفة منه محطة من محطات إنشاء السيموز؛ فالوظيفة الأولى المؤلفة بين الحواس تنهض بمجانسة الإدراكات وصهرها في إدراك كلي ، فيما تتكفل وظيفة تسجيل الآثار ونقشها بتكوين دوال دائمة تنجم عن إغراءات خارجية تجد لها رابطا تيميا (انفعاليا) داخليا في هيئة لذة أو ألم.⁷⁰

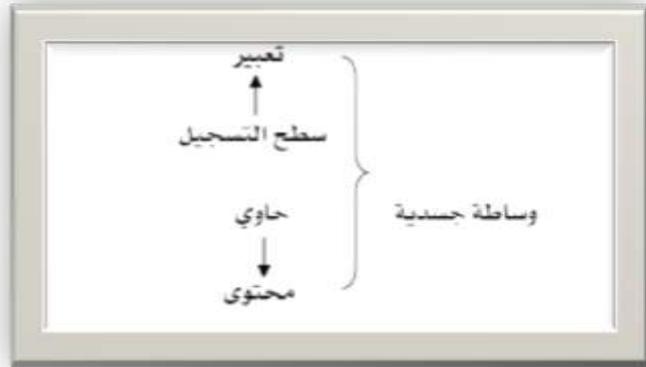
لقد زحزحت صورة الغلاف الحاوي النفساني الإشكالية الكلاسيكية للوظيفة السيميائية، وأخرجتها عن الهيئة التقليدية التي تختصرها في اتحاد منطقي عماده مبدأ "الافتراض المتبادل" بين مستوى التعبير ومستوى المحتوى اللغويين. وعلى الرغم من مخايل صورة الغلاف الحاوي التي تلوح في هذا التعريف؛ ما دامت المحتويات المدلول عليها تتطلب حاو يحتويها وتدع التعابير الدالة تظهر للخارج، إلا أن التجريد المتوخى في اللسانيات والسيميائية حجب هذا الغلاف معوضاً إياه بالخط الأفقي الفاصل بين المستويين.

ناهيك عن صورة "الواجهة البينية" [وهي وظيفة الغلاف الحاوي المتناقضة في وصله بين الداخل والخارج والفصل بينهما في أن] التي يرشح بها تشبيهه سوسير الشهير لحدي العلامة بـ "الوجه" و"القفا"⁷¹. تتيح هذه الرؤية الجديدة تخلص عالم المدلولات من التطبيق التراتبي المأثور عن التقليد الهلمسليفي، وتجعله ينضوي تحت طوبولوجيا اشتمال (حاوي/ محتوى)، (contenant/ contenu) لتغدو دينامية هذه الدلالات مرهونة بشبكة التوترات بين القوى وما يعترضها من حدود، وما يلحق بها من تعديل.

يقلب أنزيو أطراف هذه العلاقة حين ينيط إمكانية تشكيل المحتويات بوجود هذا الغلاف أو هذا الحاوي⁷² ، إن فعل التحديد هذا، وتسييح منطقة تعزل وتصل معا يبوء بها الغلاف الحاوي في التحليل النفسي نجده يتبدى في إجراء التجسيد (la sommation) الوارد في كتاب سيميائية الأهواء والذي يعتمد على آلية النفي (la négation) في تقييد مجال ملاءمة ما، ويعد أول عمل سيميائي ينجز في الفضاء التوتري ؛ فالتجسيد يؤسس لاختلاف الأكوان السيميائية؛ حين ينفي ويختار ويقصي "فلكي نعرف، علينا أولاً أن ننفي"⁷³ وأن نوجد منطقة ونجسد موقعاً، نافين ما عداه⁷⁴ ، وهو شغل غلاف الذات عندما يقلب تشوش التوترات والانفعالات المتدفقة إلى صور دالة متطابقة ومتمايزة . إذ أن التحول المنهجي الكبير الذي شهدته السيميائية منذ نهاية الثمانينات- المنبني على صرف النظر عن تحليل الدلالات المنتهية والخطابات الموضوعية والتوجه صوب الدلالات الحاضرة والحياة والخطاب بالفعل- يقتضيها تشكيل منطقة حرجة تتمرس فيها التوترات ضد القوى الممارسة عليها، تمثل شرطا أولاً يسمح لمادة المحتوى بالمرور إلى شكل المحتوى، وهو شرط من طبيعة تصويرية لها هيئة غلاف، وترتبط عاملياً بتأسيس مقام الذات. (le soi) تغدو وساطة صورة الغلاف، إذاً، ضرورة يفترضها قلب التدفقات التوترية إلى محتويات دالة، والعدول بها من هيئتها المادية الخام إلى دلالات متمفصلة ومعقولة .

لقد اتخذ أنزيو من الأنا الجلدي أنموذجاً لكل سطوح التسجيل، حين رأى في الجلد أنموذجاً بدنياً لكل حاملي التعبير⁷⁵ . ثم إن ما يصيب الغلاف الحاوي من تشوهات، أثناء قيامه بدور الوساطة الجسدية، تقابلها تشوهات مماثلة على صعيد المحتويات، يتمسرح جدل المادة والطاقات المطبقة عليها والمنجرة عن تعديلات وتغيرات تلحق بالغلاف لتكون "تسجيلات" جسدية. أما تعديلات البدن فإنها تعبيرات ما دون أيقونية للحالات الداخلية لأننا بسبب المجاورة بين تعديلات البدن وتلك المتصلة بالغلاف، وهو ما يشكل مبدأ اشتغال ما يدعى بسيميائية البصمة.

يتم تصور الغلاف كسطح تسجيل للأثار الدالة تصوره كواجهة سيميائية بينية (interface sémiotique) حيث يحتوي الغلاف المحتويات من جهة، ويسجل التعابير من جهة أخرى، تكتمل بها الوساطة أو تكاد، ويتخلص السيميوز من الطابع الشكلي: حاو من جهة وسطح تسجيل من الناحية الأخرى. إن الذات- غلاف في السيميائية هي المحرك الجسدي لاتحاد مستوى المحتوى ومستوى التعبير، وتكون الصلة بين الأجساد المجاورة و المحققة للتماس بين البدن وغلافه كافية للعملية. يقتضي اتخاذ وساطة الجسد (الاستنباه الأصل)، في الربط بين المستويين، مراجعة تصور الوظيفة السيميائية المأثور عن هلمسليف، ويستوجب التساؤل حول تمفصل هذه الوساطة الجسدية. من الواضح أن الصلة بين الحاوي والمحتوى لا تسمح، بأي حال، بمماثلة الحاوي بالتعبير: فالحاوي هو واجهة بينية مشتركة بين المحتوى وخارجه، ولكنها واجهة تخص محتواها: بالإضافة إلى أن الحاوي هو شرط ضروري لظهور المحتويات، غير أنه لا يخبر بشيء عن هذه المحتويات. وبالمقابل فإن سطح التسجيل يستقبل الدوال كأثار ملاصقة للأحداث التي تنتجها، كما أن التسجيل لا يتم إلا بفضل توفر الغلاف على ما يشبه "الذاكرة التصويرية" التي تحفظ الأحداث السابقة ما يفضي إلى استخلاص وجهين للغلاف: وجه موجّه صوب المحتوى (وهو الحاوي)، وآخر موجّه صوب التعبير (وهو سطح التسجيل) ويبلغ المطاف بالوظيفة السيميائية إلى هذا الشكل⁷⁶:



13.2. الأنثروبولوجيا:

1.3.2. أندريه لوروا غورون: لقد كان لأبحاث لوروا - غورون Leroi- Gourhan صدى واسع في الكثير من الميادين العلمية، واعتمدت نتائجها في الدراسات السيميائية أيضا، بعد أن جعلت هذه الأخيرة العالم المحسوس والطبيعي طرفا في معادلتها الدلالية. ولعل أهم ما أسهم به لوروا -غورون في صياغة السيميائية الجديدة هو مبدأه حول *التوفيقية والتأليف: والتواشج الوثيق بين أنماط المحسوس، إلى جانب ما يعرف بتداخل الحواس وقيام بعضها مقام البعض الآخر في الاشتغال الحواسي، باعتبارها شرطا لظهور الوظيفة الرمزية عند الإنسان. حيث يجمع "الأنثروبولوجيون على جعل هذه التوفيقية معيارا لاستقلالية الوظيفة الرمزية الإنسانية"⁷⁷. كما

يلقنا علم تطور السلالات (phylogénèse) درساً مفاده: أن خواص الأول تقترن أبداً بالتعقيد والتشابك والاختلاط والتعلق والشوب .

وقد كانت هذه التأليفية [الأولى] أحد مصادر استلهام السيميائية لمبدئها الشهير حول انبثاق الأشكال والمصطلحات البسيطة من التأليفات المعقدة والمصطلحات المركبة، والتسليم بسبق التعقيد شرطاً لظهور البسيط اللاحق، والتسليم، وفق هذا المنظور، بتعقيد البنيات السيميائية الأولية التي تتدرج في التبسط والانحلال كلما اقتربت من السطح؛ بحيث يغدو التكتل والتأليف بنداً المقولية⁷⁸ والتصنيف المنتجين للدلالة (المرتكزة على الاختلاف).

ومن هذه التأليفية نشأت تأليفية أنماط المحسوس السيميائية واستلهمت في صياغة المبادئ التنظيمية لسيميائية العالم المحسوس.

-كما أوحى استقلالية الوظيفة الرمزية عند الأنثروبولوجيين باستقلالية الوظيفة السيميائية وبشكل أدق: استقلالية البعد التصويري للوظيفة السيميائية في مباحث الأهواء والجسد داخل السيميائية الجديدة.⁷⁹

2.3.2. أنيك لو غيري Annick le Guéner: لقد توصلت الأنثروبولوجية الفرنسية "لو غيري" في كتابها "قوى الرائحة" (1988) إلى اكتشاف صلة وثيقة بين الحي والرائحة، بعد أن أفضت بها دراساتها للأديان والأساطير والطقوس القديمة للشعوب في مختلف بقاع العالم إلى أن الدّم لم يكن، يوماً، مجرد سائل عادي؛ وأنه ارتبط، في الأساطير والطقوس، بنظام دينامي ينتهي عند المركز الدموي الأساسي الذي يمثل أيضاً مركز الحياة؛ وهو القلب، كما اقترن سائل الحياة هذا بالعطر، وارتقيا معاً إلى القداسة في نماذج واسعة على غرار: القرابين الشذية المدماة عند الأزيك؛ أين أرفقت الذبائح المقدسة بإحراق البخور، ونجدها أيضاً في طقوس الدم وإراقة الخمور احتفالاً بالآلهة الوثنية في جزيرة كريت⁸⁰ ، وكذا في تحالف الدم والعطر في العهد الذي يربط الشعب اليهودي بالإله يهوه في الديانة اليهودية...

تجد هذه الصلة بين الدم والقلب من جهة، ومبدأ الحياة⁸¹ من جهة أخرى ما يفسرها في الإحساس الداخلي للنبض؛ حيث تنطوي الخفقة على حركة الحياة ذاتها. وقد تكون ذريعة التنفس هي ما يفسر هذه الصلة بين الفوحان العضوي وعطر الحياة؛ يكون فيه التزود بالنفس الحيوي والشذية، الضامن للحياة، والواقف على طرفي الحياة والموت؛ في الضفة المقابلة؛ أين تنسحب الروح مع النفس الأخير .

استغلت السيميائية هذه الدراسة في صياغة التنظيم التركيبي لنمط الشم الحواسي، إذ يتصل هذا النظام الذي ينتهي إلى الميدان الحسي الحركي، بالتحريكات الباطنية (النبض، الخفقان، التقلصات، التمددات...) ويتعلق بها؛ لأن الشم؛ وبوصفه اتصالاً حميماً مع الهواء، إنما يرتبط بالمبدأ الحيوي بواسطة التحريكات الحسية الحركية الداخلية التي تشكل جزءاً من الشبكة التصويرية نصف الرمزية.

وصلت السيميائية -وبعد إخضاع الرائحة لإجراءات التركيب التصويري المستحدثة- إلى قيامها على بنية تكييفية (aspectuelle) تتأطر بإجراء عام قوامه مأل الحي وصورته، وهو ما يدرج هذا النمط الحواسي تحت التشاكل السيميائي الكبير: حياة/ موت⁸² الذي خرجت به الدراسات الأنثروبولوجية من بحوثها الميدانية.

4.2. العلوم المعرفية*: كانت الكشوف التي حققتها العلوم المعرفية مجتمعة، والعلوم العصبية بشكل خاص، من أهم المسهمين في الثورة الجسدية التي شهدتها العالم الغربي المعاصر، فقد قدمت أبحاثها حول " المعرفة

المتجسدة" نتائج ردمت المسافة بين العقل والجسد، وعصفت بميكانيكا الجسد الديكارتية وبالإرث الثنائي الميتافيزيقي الغربي، مؤكدة عدم وجود فاصل بين الفكر (العقل) والجسد؛ بل وقلبت التراتب التقليدي الذي يقدم العقل على الجسد حين أقرت أن "بنية العقل الفعلية نفسها تنشأ من تفاصيل تجسدنا".⁸³

1.4.2. إسبال الطابع المعرفي على الظواهر الذاتية الخالصة: والجمع بين الحسّ والمعرفة معا في سيميائية الأهواء: لقد ساد الاعتقاد بتحرر العقل من الجسد الفلسفة الغربية الكلاسيكية، وسيطر تصور العقلانيين والمناطق، الذي ينفي عن الظواهر الذاتية الخالصة كل قيمة معرفية، طويلا، قبل أن تقدم العلوم المعرفية تصورا عصبيا جديدا للجسد يفيد بوجود استمرارية طبيعية بين المكونات العاطفية والنفسية والفكرية، بناء على الوظائف العصبية التي يقوم بها الدماغ على مختلف هذه الواجهات⁸⁴ حين أكدت أن "العقل ليس [...] سمة متعالية للكون أو للذهن المتحرر من الجسد، بل إنه يتشكل بصورة حاسمة بخصوصيات أجسادنا البشرية وبالتفاصيل الاستثنائية للبنية العصبية لأذهاننا، وبمميزات اشتغالنا اليومي في العالم"⁸⁵. ونصت على جسدية الفكر لأن "الذهن متجسد أصلا، والعقل يشكله الجسد"⁸⁶، وليس بوسع ما ينشأ من الجسد أن يتعالى عليه، ويدخل مدارات الكائن الكانطي المستقل.⁸⁷

زودت هذه الأبحاث مشروع سيميائية الأهواء بالعدة العلمية اللازمة والمدخل العلمي المؤسس لتخطي الحرج الإبيستمولوجي الذي طرحه إلغاء البعد الانفعالي- المتصل بالعواطف وحالات النفس- من مجال الملاءمة، تحت وطأة المنظور العقلاني الصوري المتوخى في فترة الستينات والسبعينات من القرن المنصرم، وهو ما كان يؤرق سيميائي المدرسة ويدفعهم إلى البحث عن منافذ لمقاربة هذا الجانب بعيدا عن خيار إحداث قطيعة معرفية تعصف بالجهود السالفة التي تركزت على المعرفة والتداول. وقد مكنتها هذه العلوم من استيعاب مباحث الحسّ وشدها إلى المعرفة⁸⁸، وعطف المحسوس على المعقول، وضم فاعلية الجسد وانفعاليته وتفاعله إلى دينامية الفعل، بمرونة منهجية وانسجام علمي .

2.4.2. الحزمة الحواسية: لقد توصلت العلوم العصبية المعرفية إلى أن الحواس ترتبط خلال عمل التنبيهات الحواسية داخل شبكة الأعصاب وتحضر ككل مترابط، وإن توزعت على مناطق بيولوجية متباينة في الجسم أثناء عملية الاتصال الحسي بالعالم، وقد كانت الحالة المرضية التي أشرف عليها طبيب الأعصاب الإنجليزي الشهير "أوليفر ساكس" خير ما يستدل به على ذلك؛ وهي حالة رسام تعرض لحادث سبب له "عمى الألوان"؛ والملاحظ على هذا المريض أن مشكله لم يتوقف عند المناظر المتسخة والباهتة التي انجر عنها الاضطراب اللوني الذي أصيب به، وإنما امتد ليشمل باقي الحواس؛ ما جعل الطعام يفقد ذوقه، والموسيقى تغدو ضجيجا، والفعل الجنسي منفرا... ناهيك عما طرأ على عاداته وسلوكاته من اختلال... هذا رغم أن فقدان اختصاص بالألوان؛ وهي ذات موقع محدد في الأعصاب الدماغية

إن هذا المشكل الذي تعزوه العلوم العصبية إلى اشتغال الحواس كحزمة وتداعيمها وتراسلها أثناء الاتصال بالعالم، ترى السيميائية - بشأنه- أن ما أصيب ليس النظر، والشم، والسمع، والذوق وإنما قدرة هذه الحواس على تمييز الكيفيات الحواسية هي التي تضررت، وتربطه بالدمار الذي أصاب الوظيفة السيميائية بعدما صار المريض عاجزا عن تحقيق الاتصال السويّ بالعالم على إثر غياب قدرته على التمييز، ما أفضى به إلى عجز في

تشديد أنساق القيم؛ حيث تغيب، في حالته، القيمة الاختلافية ومعها القيمة الانفعالية [الفاصلة بين الانشراح والانقباض] فتنتفي الدلالة - ذات الأساس الاختلافي- ويورثه ذلك عجزا عن تحويل المعلومات الحواسية إلى دلالة للعالم المحسوس⁸⁹.

3. خاتمة: كانت هذه بعض المتحدثات المتصلة بالمباحث السيميائية الجديدة عن الدلالة المتجسدة؛ المستلهمة من ميادين بحث سبقت مدرسة باريس إلى اقتحام مجالات الجسد والجسدية، وأوجدت لها منافذ لبلوغ مناطق التدليل المسقطة من حقل الملاءمة؛ حتى صار بوسعها جسدة السيميوز والتقري في محيطه عن آثار الفاعلية الجسدية – التي لا تكف عن التطويح بتصورات الميتافيزيقا والإزراء بها مع كل كشف جديد يظهر أسبقية الجسد على الفكر وانخراطه في كل ممارسة إنسانية، إنه مد للآفاق السيميائية، وإشراع لها على الحيوي الذي لا يمكن التكهن بتخومه حاليا؛ وخصوصا ما اتصل منه بحقل البصمة والأثر الجسدي.

الهوامش:

¹ لوبروتون. دافيد: أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، ت. محمد عرب صاصيلا، ط.1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993 ص.07.

² ينظر.

.Fantanille,J, Soma et Séma : figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris, 2003, p.12

³ . Fantanille . J , modes du sensible et syntaxe figurative , in : Nouveaux actes sémiotiques, PULIM, université de Limoge, 1999, p.14.

⁴ . غريماس فونطاني: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ت. سعيد بركراد، ط.1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010، ص.54.

⁵ .Greimas.A.J, Sémantique structurale : recherche de méthode, Paris, Larousse,1966, p.65.

⁶ .Ibid.

⁷ .Ibid. pp.20-21.

⁸ .تطرق د. محمد بادي لهذا الموضوع بالمناقشة والتحليل. للاطلاع عليه: ينظر: بادي. محمد: سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع – مقارنة

إبستمولوجية، مجلة عالم الفكر، العدد.5، المجلد:35، الكويت، يناير- مارس، 2007، ص.301.

⁹ . نفسه.

¹⁰ . ينظر:

- Fantanille.J. Sémiotique littéraire et phénoménologie, in, Sémiotique, phénoménologie, discours ; du corps présent au sujet énonçant, L'Harmattan, France, Canada, 1996, P.173.

¹¹ . بادي. محمد: سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع – مقارنة إبستمولوجية، ص.305.

¹² . ينظر: ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك، ت. فؤاد شاهين، د.ط، معهد الإنماء العربي، د.ت. ص.262.

¹³ . لحكيم البناني. عز العرب: الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، العدد4 المجلد 37، الكويت، أبريل- يونيو، 2009، ص.104.

¹⁴ . ينظر: ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك، ص.251.

¹⁵ . نفسه، ص.329.

¹⁶ . فونطاني. جاك: مقدمة الترجمة العربية لكتاب سيميائيات الأهواء، ص.48.

¹⁷ . ينظر: غريماس و فونطاني: سيميائيات الأهواء، ص.59.

¹⁸ . Fantanille,J, modes du sensible et syntaxe figurative, p.09.

¹⁹ . ينظر: غريماس و فونطاني: سيميائيات الأهواء، ص.59.

²⁰ . ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك، ص.262.

²¹ . نفسه، ص.262.

²² . نفسه، ص.263.

²³ . نفسه، ص.305.

²⁴. ينظر: نفسه ص.311.

²⁵. ينظر: نفسه ص.303.

²⁶. نفسه، ص.264.

²⁷. Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , p.126

²⁸. Ibid , p.24.

²⁹. Ibid , p.138.

³⁰. ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك، ص.251.

³¹. Merleau-Ponty, phénoménologie de la perception, Paris, Gallimard, 1945,p.432.

³². Ibid ,p.263.

³³. Ibid. p.265..

³⁴. Fantanille.J, modes du sensible et syntaxe figurative, p.02.

³⁵. دوبري. ريجيس: حياة الصورة وموتها، ت. الزاهي. فريد، ط.01، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص.09.

³⁶ - Merleau-Ponty, phénoménologie de la perception, p.263.

³⁷ 70 Ibid. p.2.

³⁸. ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك، ص.264.

³⁹ Fantanille.J , Sémiotique du discours, Limoge, PULIM,2000, p.95

⁴⁰. ينظر:

Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , p. .84

*. عكس العوامل السردية المتحولة

⁴¹. Fantanille.J , Sémiotique du discours, pp.152-156.

⁴². ينظر: ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك ، ص.260.

⁴³. ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك، ص.261.

⁴⁴ بنكراد. سعيد: مقدمة ترجمة سيميائيات الأهواء، ص.29

⁴⁵. إيكو. إمبرتو: العلامة – تحليل المفهوم وتاريخه- ت. سعيد بنكراد، ط.01، كلمة والمركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 2007، ص.250.

⁴⁶. غريماس و فونطاني: سيميائيات الأهواء، ص.69.

⁴⁷. سعيد. جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، 2004، ص ص.362-363.

⁴⁸. غريماس- فونطاني: سيميائيات الأهواء، ص.83.

⁴⁹. ينظر: نفسه، ص ص.81-83.

⁵⁰. نفسه، ص.79.

*. يترجم سعيد بنكراد مصطلح هايدغر "الوجود الراهن" ينظر: غريماس- فونطاني: سيميائيات الأهواء، ص.54

⁵¹. غريماس- فونطاني: سيميائيات الأهواء، ص.54

⁵². نفسه، ص.55.

⁵³ بادي. محمد: سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع – مقارنة إبستمولوجية-، ص.308.

⁵⁴ Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , p.125.

⁵⁵. Anzieu. D, Le Moi peau , , DUNOD, Paris , 1995, p.61.

⁵⁶. فرويد. سيغموند: ثلاثة مباحث في الجنس، ت. طرابيشي. جورج، ط.02، دار الطليعة، بيروت، 1983، ص ص.54-63.

⁵⁷. Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , p.124

⁵⁸. فرويد. سيغموند ، الأنا والهو، ت. محمد عثمان نجاتي، ط.04، دار الشروق، بيروت- القاهرة، 1982، ص.31.

⁵⁹ Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , p.124

⁶⁰. Ibid , p.124

⁶¹. Anzieu. D, Le Moi peau , p.125

⁶². Ibid , p.61

⁶³. Ibid , p.60.

⁶⁴. Ibid, p.35

⁶⁵ للمزيد من التفاصيل ينظر: فرويد. سيغموند: ما فوق مبدأ اللذة، ت. إسحاق رمزي، ط.05، دار المعارف، مصر، دت، ص ص.54-55 وص.58.

⁶⁶. Anzieu. D, op cit, p.73

⁶⁷. Anzieu . D , corps de l'œuvre , Gallimard, 1981, p.72

⁶⁸. ينظر:

Anzieu. D, Le Moi peau, pp.121-129.

Fantanille.J, Soma et Séma , 143-145.⁶⁹

145.⁷⁰.Ibid,

146.⁷¹ Ibid,

⁷². Anzieu , corps de l'œuvre , p.72

⁷³. غريماس- فونطاني: سيميائيات الأهواء، ص.87

⁷⁴. ينظر، نفسه، ص.88.

⁷⁵. Anzieu, moi-peau ,p.150

⁷⁶. Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , p.153.

⁷⁷. Fantanille.J, modes du sensible et syntaxe figurative, p.14.

⁷⁸. ينظر:

- Fantanille.J, modes du sensible et syntaxe figurative. p.14.

⁷⁹. Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , p.90.

⁸⁰. ينظر: ديورانت. وول: قصة الحضارة، حياة اليونان، ت. بدران. محمد، ج.1 من المجلد الثاني، الكتاب، 06، دار الجيل- بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس. د. ت، ص.30.

⁸¹. اعتبر الدم في التوراة رمزا للروح ، وهو في آسيا القديمة رمز للطاقة الحيوية؛ ينظر في هذا الشأن: سيرج. فليب: الرموز في الفن – الأديان- الحياة، ت. عباس عبد الهادي، ط.01، ، دار دمشق، سورية، 1992، ص.252.

⁸². Fantanille.J, Op cit, pp.06-08.

* وتطلق على جملة من العلوم المختلفة، التي اجتمعت حول دراسة المعرفة على غرار: الرياضيات التطبيقية، وعلم النفس، والعلوم العصبية، والذكاء الاصطناعي، والأنثروبولوجيا، ونمذجة الوظائف الذهنية، وفلسفة الذهن...

⁸³. لأكوف-ج- جونسون، م: الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ت. عبد المجيد جحفة ، ط.01، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، 2016، ص.38

⁸⁴. ينظر: لحكيم البناني. عز العرب: الجسم والجسد والهوية الذاتية، ص.109

⁸⁵. لأكوف-ج- جونسون، م: الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ص.38

⁸⁶. نفسه، ص.39

⁸⁷. نفسه، ص.39

⁸⁸. ينظر: غريماس. أ.ج –فونطاني. ج: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص.68.

* لأن الدلالة مشروطة بالاختلاف والتمايز.

⁸⁹. Fantanille.J, modes du sensible et syntaxe figurative, pp.16-18

4. قائمة المراجع :

1.4 بالعربية :

-إيكو. إمبرتو: العلامة – تحليل المفهوم وتاريخه-، ت. سعيد بنكراد، ط.01، كلمة والمركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 2007.

-بادي. محمد: سيميائيات مدرسة باريس: المكاسب والمشاريع – مقارنة إبستمولوجية، مجلة عالم الفكر، العدد.5، المجلد:35، الكويت، يناير-مارس، 2007.

-دوبري. ريجيس: حياة الصورة وموتها، ت. الزاهي. فريد، أفريقيا الشرق، المغرب. 2002.

- ديورانت. وول: قصة الحضارة ؛ حياة اليونان، ت. بدران. محمد، ج.1 من المجلد الثاني، الكتاب 06، دار الجيل- بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس. د.ت.
- سعيد. جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، 2004.
- سيرج. فليب: الرموز في الفن – الأديان- الحياة، ت. عباس عبد الهادي، ط.01، دار دمشق، سورية 1992.
- غريماس فونطاني: سيميائيات الأهواء،: سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ت. سعيد بنكراد، ط.1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.
- فرويد. سيغموند: ما فوق مبدأ اللذة، ت. إسحاق رمزي، ط.05، دار المعارف، مصر، د.ت.
- فرويد. سيغموند ، الأنا والهيو، ت. محمد عثمان نجاتي، ط.04، دار الشروق، بيروت- القاهرة، 1982.
- فرويد. سيغموند: ثلاثة مباحث في الجنس، ت. طرابيشي. جورج، ط.02، دار الطليعة، بيروت، 1983.
- لاكوف. ج-جونسون. م: الفلسفة في الجسد: الذهن المتجسد وتحديه للفكر الغربي، ت. عبد المجيد جحفة ، ط.01، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، 2016.
- لحكيم البناني. عز العرب: الجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، العدد4 المجلد 37 ، الكويت، أبريل- يونيو، 2009
- لوبروطون. دافيد: أنثروبولوجيا الجسد والحدائثة، ت. محمد عرب صاصيلا، ط.1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
- ميرلو بونتي. موريس: ظواهرية الإدراك، ت. فؤاد شاهين، د.ط، معهد الإنماء العربي، د.ت
- 2.4 بالفرنسية :
- Anzieu . D , corps de l'œuvre ,Gallimard, 1981 .
- Anzieu. D, Le Moi peau, DUNOD, Paris , 1995.
- Fantanille.J. Sémiotique littéraire et phénoménologie, in, Sémiotique, phénoménologie, discours ; du corps présent au sujet énonçant, L'Harmattan, France, Canada, 1996.
- Fantanille.J, modes du sensible et syntaxe figurative, in : Nouveaux actes sémiotiques, PULIM, université de Limoge, 1999.
- Fantanille.J, Sémiotique du discours , Limoge, PULIM,2000.
- Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps, Maisonneuve et Larose , paris, 2003.
- Greimas.A.J, Sémantique structurale : recherche de méthode, Paris, Larousse,1966.
- Merleau-Ponty, phénoménologie de la perception, Paris, Gallimard, 1945.